الكلام فى حب الجاه والمـــــال

المحاضرة الثلاثون

لفضيلة

الشيخ سليمان المدني

طالب الجاه دائما مراء لخلق الله ويصانع الناس حتى لو كان ذلك على حساب نفسه ودينه

الكلام لا يزال فى حب المال والجاه... وقد قلنا ان لحب المال وحب الجاه سببين وذكرنا الاول وهو رغبة الانسان فى القدرة على تحصيل شهواته وملذاته وما يحتاج اليه فى هذه الحياه. وقلنا ان هذا هو السبب الظاهرى وان فى النفس سبباً أعمق من هذا السبب وسميناه السبب الخفي يدفع الانسان الى طلب المال والجاه، وهذا السبب الخفي هو ان نفس الانسان لما كانت من اصل رباني فهى تشعر بالربوبية وتشعر بالاستعلاء، ومن اجل ذلك ترغب فى الكمال وتطلب الكمال وتشمئز من كل نقص وتحاول الابتعاد عنه، والعبودية اذا كان الانسان يقبلها انما يقبلها قهراً وإلّا فنفسه تميل الى الربوبية، ومن اجل ذلك يعشق الكمال.

فتجد كل الناس على اختلاف انواعهم واصنافهم واديانهم ومداركهم، كبيرهم وصغيرهم، عالمهم وجاهلهم يفرح اذا احس من نفسه بصفة الكمال ويتستر ويتكتم على كل ما يحس فى نفسه من جهة النقص، وهو يفرح اذا نسبت اليه صفة كمالية ويثور ويغضب ويشمئز فيما اذا نسبت اليه صفة تشعره بنقص، فلا تجد احداً الا وهو يفرح عندما يقال له انه عالم مثلا ويعرف صنعة من الصنائع ومهنة من المهن او علم من العلوم. ويشمئز عندما يقال له انت جاهل.

يفرح اذا قيل له انت كريم ويشمئز اذا قيل له انت بخيل، يفرح اذا قيل له انت قوى وقادر ويشمئز ويغضب عندما يقال له انت لا تقدر على شيء وانت اعجز من ان تفعل شيئاً.

فالانسان وهو رباني فى الاصل يحب الكمال ويطلبه، ويحاول جهده الا تبقى فيه جهة نقص، ولا شك ان الكمال نوعان ، نوع حقيقى ونوع وهمي، ومعظم الناس بل نستطيع ان نقول ٩٩٪ من الناس لا يمكنهم ادراك الكمال الحقيقى حتى يحصروا جهدهم فى السعى اليه وانما يدركون الكمالات الوهمية، يدركون نوعا من الكمالات فيسعون اليها. من هذه الكمالات القدرة على الاستعباد، استعباد الاخرين واخضاعهم وجلبهم، فتارة تتجه النفس الى السيطرة على أعيان الاموال فيتجه الانسان الى جمع الاموال، ولو كان يريد المال لخصوص ما يحتاج اليه من ماكل ومشرب وملبس ومسكن وكان كل انسان لا يطلب المال الا بقدر هذا الاحتياج لما وجد هذا التزاحم وهذا التضارب والتنافر بين الناس... ولما تنافرت مصالحهم مطلقا ... ولكن لما كان المال يوصل الى شهوات والى لذائذ يظنها الانسان كمالا وانه انما يتمكن اذا سيطر على أعيان الاموال

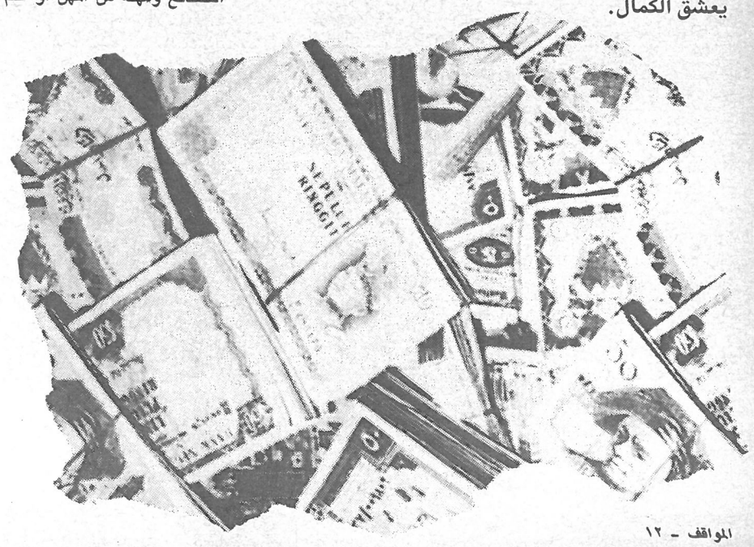

يندفع الى تحصيل ذلك المال ويقضي فى سبيل ذلك كل اوقاته ويحصر فيه كل همه او على الاقل اغلب اوقاته واغلب همه، وهو انما يريد ان يقهر اعيان الاموال بالاستيلاء عليها وعن طريق قهر اعيان الاموال يتمكن من شراء العبيد واستئجار الخدم وغير ذلك، وهو نوع من رغبة الاستعباد والسيطرة ان لم تكن على الجسم كما فى حالة الرق فعلى المنافع كما فى حالة الاستئجار والاستخدام، وهذا ما نسميه فى طلب مقام الحشمة، فمقام الحشمة يحصل بجمع المال، اى التسلط بالقهر والغلبة والقدرة المالية يعبر عنه عادة فى علم الاخلاق بطلب مقام الحشمة، فعندئذ هذا القهر او هذه الغلبة تاتى عن طريق استعمال الحشمة والتى لا تكون الا بوجود المال، فيتولد عند الانسان حب المال، هو لا يحب المال من اجل المال، اللهم الا الشخص المنحرف تماما والذى يفنى عمره فى جمع الاموال دون ان يستفيد منها حتى فى لذائذه او مشتهياته او فى طعامه ومشربه، فهذا فرد نادر ولكن معظم الناس انما يتهاترون ويتشاجرون وتتضارب مصالحهم ويتخاصمون، او انهم يترافقون ويتعاونون فى سبيل تحصيل المال من أجل ان يكون المال وسيلة، والغاية الخفية فى نفوسهم هى الشعور بالربوبية.

كذلك الجاه، فهو يحصل بانتشار الصيت وانتشار السمعة بين الناس، وهذا نوع من استعباد القلوب وليس استعباد الاجساد، هو لا يريد السيطرة على الاعيان مباشرة انما لعجز منه فى القدرة

الانسان فى اصله رباني لذلك يحب الكمال ويطلبه ويشمئز من النقص

على السيطرة عليهم بصورة مباشرة او لان السيطرة على القلوب اهم من السيطرة على الابدان فلذلك يتجه الانسان الى حب الجاه، ويندفع فى تحصيل الجاه ويحب ان ينتشر صيته وتنتشر شهرته فى البلدان القاصية التى لا يتصور هو فى يوم من الايام ان يطاها بقدمه وماذلك الا بدافع من السبب الخفي فى نفسه من قهر قلوب الاخرين والسيطرة عليهم ومن اجل ذلك يفرح الانسان بالمدح والثناء خاصة اذا كان هذا المدح وهذا الثناء ممن له مقام بين الناس ويغضب ويثور بالقدح او النقد واظهار العيوب خاصة اذا جاء هذا القدح والعيب ممن يكون له مقام بين الناس، وذلك لانه فى المدح تحصل لديه عدة فوائد.

اولا الشعور بالكمال فى حالة المدح وهذا هو المطلب الإنسى للناحية الربانية فى الانسان ولذلك فهو يلتذّ بالمدح ويعبرون عن ذلك بالقول يلتذ بالمدح كما يلتذ الصبي بمحالب امه وهو مثل عند العرب، ويرون ان الانسان الكريم هو الذى يلتذ بالمدح كما يلتذ الطفل بمحالب امه، اى انه تكون لديه لذة فى ان يمدح خاصة اذا كانت هذه اللذة قد جاءت من شخص له مقام بين الناس ويميز الغث من السمين ويعرف مواضع المدح، ومن ناحية ثانية ان هذا المدح ايضا يكون سببا فى زيادة حصول الجاه وانتشار الصيت والسمعة بين الناس، ومعنى ذلك انه يكون سببا للسيطرة على قلوب جديدة، وهذه لذة ثانية فى المدح، والفائدة الثالثة انه يشعره بالكمال، فما مدحه فلان من الناس الا لانه يستحق المدح بعكس الذم فانه يثيره ويغضبه، هذا اذا كان المادح صادقا فى اعتقاده لهذا الكمال الذى مدحه به، اما لو كان يعلم بان من يمدحه لا يعتقد ان فيه هذه النعوت وهذه الكمالات والاوصاف، فهل تدخل عليه لذة ايضا؟ نقول نعم، تذهب اللذة الاولى وتبقى اللذة الثانية، ولكن تحصل عنده لذة جديدة وهى انه تمكن من ان يقهر لسان هذا المادح فيجعله ينطق بما لا يعتقده فى قلبه، وهذا ايضا دافع الى مقام القهر لان القهر او السيطرة او العبودية تارة تكون للابدان وتارة تكون للقلوب وثالثة تكون للجوارح، فاذا كان لا يستطيع ان يستعمل مقام الحشمة فيسيطر عليه على نحو العبودية ولم يتمكن من اقناعه بكمالاته فيسيطر على قلبه فلا اقل انه بمقام الحشمة استطاع ان يسيطر على جارحة من جوارحه هى اللسان بحيث اضطرته هذه الحشمة الى ان يقول مالا يعتقد ويمدحه بما لا يصدق انه فيه اضافة الى ان مدحه يكون سببا فى جلب القلوب..

اما القدرة فهى فى الحقيقة ليست كمالا حتى وهميا فمثلاً القدرة الجسمية، وسلامه الاطراف، القدرة فى الجوارح مثلا، قدرته على المشى والحركة والنظر والسمع والكلام، قدرته على الفعل كل ذلك نوع من الكمال الوهمي لكن القدرة على اطلاقها بالنسبة للمخلوق ليست حتى من الكمال الوهمي، لانه ليست له قدرة، وحتى الفعل الذى تشاهده يحدث عند إعمال الارادة للقدرة والتعاقب بين اعمال القدرة من قبل الارادة وتحقق الفعل فى الخارج ليس على نحو السببية الحقيقية وانما على نحو السببية الفاعلية، وليس السببية الخالقية وقد تحقق فى محله بان كل الاسباب فى حقيقتها تعود الى الله سبحانه وتعالى... فاذا من هذه الناحية اذا كان الانسان يفكر يشعر بان طالب القدرة حتى ليس كمالا وهميا فضلا عن ان يكون كمالا حقيقيا.

هذه هى اسباب طلب الجاه وقبل ان نذهب الى التفصيل بين الكمال الحقيقى والكمال الوهمى يجب ان نتذكر ان طالب الجاه يضطر الى مراعاة الخلق ومصانعتهم من اجل انتشار صيته وجلب قلوبهم، لانهم لا يرضون منه ولا يرضون عنه الا اذا اعتقدوا بان فيه الكمال، ولا يخضعون له الا باعتقادهم وجود صفة كمالية فيه، وكلما زاد اعتقاد الانسان بصفات كمالية فى فرد اخر كلما زاد خضوعه له وكلما زاد اذعانه اليه وهو يتظاهر دائما بجمعه لاهم الخصال التى يرى الناس يرغبون ان يجدوها ويستعمل الرياء... حتى فى الصلاة قد يلجا الى الرياء... انما يراعيهم فى صلاتهم؟ انما يراعيهم لجلب قلوبهم. طالب الجاه دائما مراء لخلق الله سبحانه وتعالى، يصانع الناس حتى لو كان ذلك على حساب نفسه او على حساب دينه.. بعض الافراد دخل عليه شخص يعرفه تماما فى مقر بيته فوجده ياكل قرص شعير يابس فقال له يافلان انت تاكل هذا امام الناس لا بأس ولكن لماذا تاكله فى قعر بيتك؟ فقال او لم تصل الي فى هذا المكان فلعل غيرك يصل الى. فهذا الشخص حرم نفسه حتى من اللذائذ الدنيوية المباحة ليظهر صيته عند الناس بانه زاهد حتى فى قعر بيته يتصنع الزهد وليس فيه من الزهد شيء..

فاذا طالب الجاه لابد له من المصانعة كما ان طالب المال لابد له من المنافسة والمصانعة والمرافقة، كذلك لابد له من المُراءاةوالمصانعة والمجاملة والنظر دائما فى الناس وما تتغير به افكارهم من صفات الكمال فهو يتخذ ذلك المسلك الذى يرغب فيه الناس، حتى لو كان بينه وبين نفسه يعتقد بوجود ضرر فى هذا المسلك او بانه لا فائدة فيه او بانه غير مشروع تجده وهو يطلب الجاه مضطر لذلك... ولذلك قال النبي (ص) (ما ذئبان ضاريان فى زريبة غنم بأضر على المسلم فى دينه من حب المال والجاه). ولذلك ايضا قال النبي (ص) (طلب الجاه بذرة النفاق) وقال (ص) بما معناه طوبى للخاملين الذين لا يذكرون اذا غابوا ولا ينظرون اذا حضروا...

يتبع فى العدد القادم

«ماذئبان ضاريان فى زريبة غنم بأضر على المسلم فى دينه من حب المال والجاه»

حديث شريف